أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٤ أ، ص ص ٢١-٣٢، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

المآذن المربعة: هويتها، تأثرها وتأثيرها

فؤاد فياض خضرة

كلية الهندسة المعمارية, جامعة تشرين

اللاذقية ، سوريا

ملخص البحث: أكد رسول الله ﷺ وآله وسلم الحاجة للارتفاع للنداء للصلاة إذ طلب من مؤذنه بلال بن رباح الصعود إلى سطح المساكن المجاورة لمسجده لإطلاق قول: الله أكبر ... الله أكبر ... فالمكان المرتفع (المئذنة أو السطح) وجد كوظيفة للدعوة للصلاة منذ عهد رسول الله ﷺ، وتبلور كعنصر ملموس وأساسي في عصور لاحقة، وساعد على التفكير بإنشاء المئذنة وفهم وظيفتها إرث معماري كبير.

وإذا كانت الأبراج والصوامع ذات قطع مربع، قليلة الارتفاع فقد استمر المسلمون بتشييد هذه المآذن على الشكل المربع طيلة العهد الأموي، وانتقل هذا الطراز إلى شمال أفريقيا ووصل الأندلس وترك بها من آثاره، وأخذ منها الكثير حتى عادت إلى شمال أفريقيا بطرز جديدة منبثقة عن الطراز الأم. وبقي محافظاً على التكوين المربع حتى نهاية القرن الثاني عشر للميلاد حيث ظهرت المآذن المضلعة والمستديرة. لقد تفردت المآذن المربعة بصفاتها الخاصة فتأثرت وأثرت بما عاصرها من طرز واستقرت عناصرها التكوينية والجمالية بعد مرورها بمراحل تطور عديدة ابتعدت بها عن صفات الأبراج والصوامع حتى نالت خصوصية متميزة جديرة بالاهتمام الذي يوليه إليها معماريو اليوم كما هي جديرة بالبحث والدراسة.

المقدمة

ميز الكثير من معماري الإسلام عمارة المساجد ثلاث خصائص أساسية رافقته أينما وجد وهي: البساطة والتناسق والوقار.[١] فالمسجد مكان عبادة المسلمين بصورة جماعية أو فردية وما يزال ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضاً بالنسبة لجماعة المسلمين، وعمل على أن يكون ديوان أمم الإسلام، فلقد عرضت مساجد الأمة جوانب كبيرة من تاريخها، وكان قيام مسجد الرسول ﷺ من معالم قيام أمة الإسلام في المدينة المنورة، وكذلك يقال عن معظم المساجد الجامعة في عواصم الإسلام الكبرى.

أنشأ رسول الله ﷺ مسجده الأول بعد أن وصل المدينة مهاجراً من مكة عام ٦٢٢م، وقام بتخطيطه وجعل له قبلة كانت بادئ الأمر تجاه بيت المقدس، ثم أمر الله تعالى بتغيير اتجاه القبلة نحو الكعبة. وجعل في ناحية القبلة عريشاً على جذوع النخيل سقفت بعوارض من خشب جذوع النخل وطرح عليها السعف، وفي صدر المسجد حدد موقع الإمام (مكان المحراب فيما بعد) ليتوسط المصلين وأشاروا إليه بعلامة مميزة،كما أقيمت للرسول ثلاث درجات ليقف عليها أثناء الخطبة بدلاً من جذع نخلٍ كان رسول الله ﷺ يقف عليه والتي كانت بداية المنبر.

إن الصحن والحرم والقبلة (المحراب) والمنبر هي العناصر الأساسية التي ضمها مسجد رسول الله ﷺ وهذه العناصر لا يخلو منها أي مسجد مبني، وكل ما عدا ذلك فهي إضافات وعناصر إكمال وتجميل أتت فيما بعد.[٢] وهي لا تدخل في تكوين المسجد بصورة أساسية، فالقباب إضافة معمارية ظهرت في وقت مبكر عندما أنشأ الوليد بن عبد الملك قبة الصخرة. والميضأة والمقاصير جاءت لاحقاً لاعتبارات اجتماعية، إذ إنه من المفضل الوضوء في المترل والتوجه إلى المسجد للصلاة حفاظاً على طهارة المسجد. أما المقاصير فهي غير مستحبة ووضعت بأمر من الحاكم لحمايته.

أما الأذان فكان بالإمكان أن يرفع من فوق سقف المسجد أو من أعلى بيت مجاور له دون حاجة إلى مئذنة، وكان مجال الصوت الطبيعي للمؤذن هو الذي يحدد المجال الطبيعي للمنطقة التي يخدمها المسجد، ولكن ومع تطور العمران تولدت حاجة الارتفاع ليصل الأذان إلى أكبر عدد من المصلين، فصعد المؤذنون في دمشق بعد فتحها إلى أبراج معبدها القديم منادين للصلاة، ووجدوا هذه الأبراج المكان المناسب لدعوة المسلمين إلى الصلاة.[٣ ص١٢-١٣] لقد ساعدت هذه الأبراج على التفكير بإنشاء المآذن تلبية لوظيفة الدعوة إلى الصلاة. ويسجل المؤرخون أن أول المآذن التي بنيت كانت بناءاً على أمر وجهه معاوية ابن أبي سفيان إلى واليه على مصر مسلمة بن مخلد يأمره فيه بإنشاء أربعة صوامع على الأركان لمسجد عمرو بن العاص في الفسطاط وكانت هذه الصوامع أول ما بني من نوعها في مصر والعالم الإسلامي كله[١]، واستمر بعد ذلك تشييد المآذن على نسق صوامع الجامع الأموي بدمشق أبراجاً مربعة طوال قرون عديدة، و لم يتغير شكل المآذن إلا بعد القرن الثاني عشر للميلاد حين أخذت تظهر مآذن مضلعة وأخرى مستديرة .[٤ ص٥٨]

المئذنة الصومعة، والمئذنة المنارة

تفرق النصوص بين الصوامع التي بنيت في أركان جامع عمرو بن العاص وبين المنارات التي بنيت في المساجد التي تلت المسجد الجامع ويمكننا القول بأن الصوامع كانت اقرب إلى الأبراج في ضخامة الهيئة وأما المنارات فكانت اقل حجماً وربما اقل ارتفاعاً. إن استخدام لفظ المنارات يدل اقتباسها من هيئة المنارات التي أنشئت على السواحل.[١] ومن هنا فالمآذن نشأت عن الصوامع (الأبراج) والمنائر، ثم امتزج النموذجان معاً فظهرت مآذن المساجد الأولى، وإذا تأملنا مئذنة جامع عقبة بن نافع في القيروان وجدنا أن البدن بناء مرتفع مربع سميك الجدران (البرج)، ويقوم عليه بناءان الأدنى أصغر حجماً من البدن والأعلى أصغرها جميعاً، فمئذنة جامع عقبة أذن برج ومنارة في آن واحد.

وظائف المئذنة واستخداماتها

جرت العادة أن يؤذن المؤذن فوق المئذنة وان يصعد إليها بشخصه ما أمكن ذلك. واستخدمت المئذنة أيضاً لأغراض دفاعية في المراقبة كما حصل في أربطة وثغور المغرب كما استخدمت لإعطاء الإشارات بين المدن والعواصم بإشعال النيران في الليل والدخان في النهار، لإرسال الإشارات حول تحركات الأعداء، كما كان يجري في منارة العروس وكذلك على المنائر المقامة على رؤوس الجبال.[٥ ص٩٤] وللمآذن دور هام في الدلالة على المدينة الإسلامية وإظهار هوية أحيائها ومساجدها.

تأثير التربيع والتكعيب

التربيع موروث لشعوب شرق البحر الأبيض المتوسط ومنطقة مصر منذ أزمنة بعيدة موغلة في القدم، وتعتقد هذه الشعوب بأن التربيع يعين الاتجاهات على سطح الأرض، ويرمز إلى قاعدة الفضاء والكون وله أيضاً صفة الثبات، وإذا ما تفحصنا المباني التي وصلت إلينا والتي بنتها شعوب المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد مثل الأهرامات مربعة القاعدة، والزيقورة المعبد الرافدي القديم يأخذ شكل الهرم تلفه المصطبات الأفقية فتشكل المدرجات، هذه الزيقورة ترتكز على التربيع أيضاً، وبرج بابل هو ذو شكل مربع. وأهم هذه المباني تأثيراً عند العرب هو بيت الله الحرام، الكعبة المشرفة قبلة المسلمين ووجهتهم في صلواتهم الخمس، فالكعبة وما ترمز له من الثبات المتأصل بالأرض، تعتبر أقدس مكان في الأرض بالنسبة لكل مسلم.[٦، ص٤٤]

تأثير مواد الإنشاء والزخارف

لقد بنيت مآذن العالم الإسلامي بمواد البناء المحلية المتوفرة في كل بلد حيث أعطت مواد البناء هذه سمات مميزة للمآذن التي بنيت منها، فعلى سبيل المثال يقال إن المعماري الذي بنى صومعة مسجد أشبيلية وصومعة الكتبية وصومعة حسان هو معماري اشبيلي يطلق عليه اسم "غيفر" أي جابر. ولهذه المآذن صفات اكتسبتها من مادة البناء المستعملة فيها، فمئذنة الكتبية الرشيقة صنعت من الحجر " الغشيم" أما مئذنة مسجد حسان القوية التعبير فهي من الحجر المنحوت ومئذنة مسجد أشبيلية "الجيرالد" مدينة للآجر بجمال منظرها، مع أن التنسيق العام والترتيب الداخلي هو ذاته فيها، فهي أبراج مربعة يصعد إليها عن طريق منحدر يدور حول نواة مؤلفة من غرف توضع فوق بعضها. والجسم المركزي يمتد ليتصل في الأعلى بتاج قنديلي مربع ما زالت الكتبية تحتفظ به وحدها.

كونت العناصر الزخرفية في هذه المآذن شخصيتها المعمارية رغم محدوديتها، إذ آلفت بين مجموعة من العناصر من أقواس مسدودة أو نوافذ متباعدة أو مجمعة بشكل طبقات زخرفية وألواح من المشبكات المستوحاة من الأقواس المتصالبة، وفي الكتبية بعض التزيينات الملونة التي تزين الأقسام الغائرة، ونجد في قمة غيرها من المآذن أشرطة من القاشاني والبلاط الزخرفي الذي يشكل لوحات غاية في الرونق والجمال. لقد أدى الإسراف في استخدام الزخارف في المباني الأندلسية إلى تغطية التفصيلات المعمارية، فتغطية المساحات بالزخارف التي بلغت القمة في الغنى والدقة جعل من تلك المساحات لوحات فنية رائعة، وجعل العناصر المعمارية المستخدمة في البناء ثانوية بالنسبة لروعة تنفيذ هذه الزخارف، رغم مكونات هذه العناصر الجمالية والفريدة في بعض الأحيان.[٧، ص٦٥-٢٠١]

تاريخ المآذن المربعة الأولى وعمارتها

هناك روايتان، تقول الأولى إن زياد بن أبيه عامل معاوية على العراق بنى سنة ٤٥ هـ (٦٦٥ م) لجامع البصرة "منارة من الحجر" وذلك عندما هدم الجامع الأول وأعاد بناءه بالحجر. ولا توجد أية تفاصيل عن تصميم هذه المنارة.[١]

و تقول الثانية إن مسلمة بن مخلد عامل معاوية على مصر انشأ في سنة ٥٣هـ (٦٧٢م) أربعة صوامع في أركان جامع عمرو بن العاص في الفسطاط لغرض الأذان، وأمر بان تكون على شاكلة صوامع المعبد القديم بدمشق الذي حول إلى مسجد.[٨]

ثم تلى ذلك صوامع المسجد الأموي بدمشق بعد أن قام عبد الملك بن مروان بتجديدها وأعطاها صورتها الحالية كان ذلك سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م). واعتبرت بذلك أول محاولة لإقامة المآذن في الشام. وأعاد الوليد بن عبد الملك بناء البرجين المربعين في الجانبين الشرقي والغربي للمعبد القديم ليقوم من فوقهما الأذان، ثم أنشئ على نمطهم مئذنة ثالثة في منتصف الواجهة الشمالية للجامع، وكانت بذلك أول مئذنة تأخذ هذا الموقع بالنسبة للمسجد.[٩، ص٥٤-٦١] (شكل ١)

ويذكر المؤرخون بأن المسجد النبوي كان فيه أربعة مآذن في أركانه في عهد سليمان بن عبد الملك، وقد أزال سليمان الجنوبية الغربية لإشرافها على مترله، ثم أزيلت المئذنتان الشماليتان و لم يبق إلا المئذنة الجنوبية الشرقية وهي عبارة عن برج مربع طول ضلعه ٤,٥ مترا وارتفاعه ٢٩ مترا.[١٠، ص١٣٩]

وتتالى بعد ذلك بناء المآذن المربعة، فبنى بشر بن صفوان عام ١٠٩ هـ (٧٢٩ م) منارة مسجد عقبة بن نافع في القيروان، (شكل ٢) مستخدما في بنائها الحجارة والآجر، وتكاد تخلو من الزخارف ما عدا الأقواس الحدودية المغلقة فوق النوافذ. وفي بادية الشام بنى هشام بن عبد الملك قصر الحير الشرقي في عام ١١٠ هـ (٧٣٠ م)، وبين القصرين وضع مئذنته من الطوب ذات المسقط المربع بشكل منفصل لتؤدي عدة وظائف، منها الأذان والمراقبة والدلالة على موقع القصر في البادية.[٩، ص٧٥] وفي عام ٧٨٨ م، بنى هشام بن عبد الرحمن مئذنة مسجد قرطبة من الحجر ووضعها على الجدار الخلفي للصحن. وبعد أن استولى الأسبان على المسجد وحولوه إلى متحف وكنيسة، حولوا المئذنة إلى برج للنواقيس بعد أن أحاطوها بجدار حجري سماكته ١,٥ مترا.

ولما فكر المعماريون بزيادة ارتفاع المئذنة أكثر مما كانت عليه سابقا خلال بنائهم مئذنة جامع الكتبية الشهير في مراكش عام ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) والتي وصل ارتفاعها إلى ٦٧,٥ مترا، فكروا بالمؤذن أيضا وكيف سيصعد هذا الارتفاع خمس مرات في اليوم. ولذلك أوجدت المرقاة، وهي الطريق الصاعدة "المنحدر" التي سمحت للمؤذن بالصعود والنزول وهو يمتطي حصانه،[١١، ص١١] وما زالت هذه المئذنة تعد واحدة من أجمل مآذن العالم الإسلامي، فلقد بنيت على نمطها مجموعة كبيرة من المآذن فيما بعد (شكل ٣).

وفي عام ٥٩٢ هـ (١١٩٥ م) بنى أبو يوسف يعقوب المنصوري الموحدي بالآجر صومعة مسجد أشبيلية بارتفاع ٩٦ متر, وبطريق صاعدة على غرار مئذنة الكتبية وكسيت هذه بالقاشاني وزينت جدرانها نقوش وزخارف آية في الذوق والجمال والتناسق. ومن المؤسف أن تؤدي اليوم دور برج النواقيس بعد احتلالها من قبل الأسبان.[١٢، ص٤٢ ـ ٤٤]

يبين الجدول التالي تاريخ تطور المآذن المربعة مع بعض صفاتها وقد اعتمد في إعداده على تقاطع المعلومات الخاصة بالمآذن والواردة في قائمة المراجع المذكورة جميعها في نهاية البحث.

جـــدول بأهم المنائـــر والصوامع المربعة في العـــالم الإســـلامي

م	اسم المئذنة	تاريخ بناءها هجري	تاريخ بناءها ميلادي	العهد الذي بنيت فيه وبانيها	مادة الإنشاء	عدد طبقاتها	الأبعاد (م) ارتفاع	الأبعاد (م) طول	الأبعاد (م) عرض	طريقة الارتقاء	مكان وجودها	عددها	موقع المآذن	الزخارف	زمن إنشاء المسجد	ملاحظـــات
١	صوامع جامع عمرو بن العاص ٢١هـ ٦٤٢م بالفسطاط	٥٣	٦٧٢	معاوية ومسلمة بن مخلد						درج من الخارج	القاهرة مصر	٤	أركان المسجد الأربعة		٢٢ هـ- ٦٤٢م عمرو بن العاص	جدد في عهد قره بن شريك وأعيد بناؤه ٩٢هـ
٢	منذنة عيسى (البيضـــاء أو الشرقية) - الأموي دمشق	٨٦	٧٠٥	الوليد بن عبد الملك	الحجر	٢	٦٣م			سلم	سوريا	١	الجهة الشرقية من المسجد		٨٦هـ — ٧٠٥م الوليد ابن عبد الملك	جددت أكثر من مرة آخرها بعد زلزال ١١٧٣هـ/١٧٥٩م ولعلها الأبراج ذاتها التي استخدمت للأذان (المسعودي متوفى ٣٤٦- المقدسي متوفى ٣٨٠) أنشئت مجدداً ورممت في القرن الخامس عشر وفي أعلاها مخروط أنشئ في العهد العثماني. ارتفاع الصومعة ٢٢,٥ م
٣	منذنة العروس - الأموي دمشق	٨٦	٧٠٥	الوليد بن عبد الملك	الحجر	٣				سلم	سوريا	١	الجدار الشمالي فوق مدخل الفراديس	القسم السفلي ما يزال أصيلاً يعلوه قسم جدد في العهد الأيوبي تميز بنوافذ مزدوجة ضمن قنطرة في كل وجه من وجوه المئذنة	٨٦هـ—٧٠٥م الوليد ابن عبد الملك	القسم العلوي جدد في العهد العثماني والقسم الأوسط مجدد في العهد الأيوبي بعد حريق ٥٧٠هـ/١١٧٤م
٤	منذنة الحرم النبوي بالمدينة		٧٠٦-٧١٠	الوليد بن عبد الملك			٢٩	٤,٥	٤,٥	سلم	المدينة المنورة	١				
٥	منذنة عقبة بن نافع القيروان	١٠٥-١٠٩	٧٢٤-٧٢٩	بشر بن صفوان	حجر + آجر	٣	٣١,٤	١٠,٧	١٠,٧	درج	تونس	١	الجدار الخلفي للقبلة	مكسية بالكلس مزينة فوق النوافذ بأقواس مغلقة حدوية الشكل	عقبة بن نافع	الطبقات السفلى من الحجر. ومادة البناء التالية من الآجر تم في عهد الأغالبة ٢٢١هـ — ٨٣٦ م عهد الأمير زيادة الله بن إبراهيم أعيد بناء المسجد في بداية العصر العباسي ١٥٧هـ/٧٧٣ .
٦	منارة مسجد قصر الحير الشرقي	١١٠	٧٣٠	هشام بن عبد الملك	الطوب	١		٢,٩٤	٢,٩٨	سلم	سوريا	١	بشكل منفصل بين القصرين			
٧	منذنة مسجد حران بسوريا	١٢٧	٧٤٤									١				
٨	صومعة مسجد قرطبة	٧٨٨		هشام بن عبد الرحمن	الحجر	٢		٨,٤٨	٨,٤٨	بسلمين مستقلين	الأندلس	١	الجدار الخلفي للصحن الباب الشمالي		عبد الرحمن الداخل ٧٨٥ م	بدلت في عهد عبد الرحمن الناصر ٩٥١ م وتغيرت معالم المئذنة بعد استيلاء الأسبان عليها فأحوج الأمر إلى إحاطتها بغلاف من الحجر سماكته ١,٥م
٩	منذنة المسجد العمري بصرى			الأموي (يزيد الثاني)	الحجارة	١	٢٥م			سلم	سوريا	١	الجدار الشمالي الشرقي	أطلق على المئذنة اسم منذنة العروس لارتفاعها عن غيرها وجمال شكلها	٦٣٤م-٦٤٤م الخليفة عمر بن الخطاب	يؤكد كروزويل بأن المئذنة هي أقدم منذنة لا تزال قائمة في العالم الإسلامي تم إصلاحها في عهد يزيد الثاني عام ١٠٢هـ /٧٢٠م
١٠	منذنة مسجد ابن طولون بالقاهرة	٢٦٦	٨٧٩	أحمد بن طولون	الحجر	٣	٤٠			سلم حلزوني خارجي	مصر	١	الجدار الخلفي للمسجد			
١١	منذنة مسجد قرطبة الجامع	٣٤٠	٩٥٠	عبد الرحمن الناصر							أسبانيا	١	أقصى جدار الصحن جهة الشمال		١٧٠هـ - ٧٨٦م عبد الرحمن الداخل	
١٢	منذنة جامع القرويين في فاس	٣٤٤	٩٥٥-٩٥٦	فاطمة الفهرية	الحجر		٢٠	٥	٥		المغرب	١	أعيد العمل فيه عام ٦٨٨هـ-١٢٨٩م في عهد الأمير يوسف المريني	بيضت وكسيت بالجص والقاشاني وصقلت أحجارها	٢٤٥هـ - ٨٥٩م	بعد تأسيسه زيد فيه ٣٤٥هـ-٩٥٦م في عهد الخليفة الأموي الثاني ثم وسعه علي بن يوسف بن تاشفين ٥٣٠هـ-١١٥٣م. ثم وسع في عهد السعديين ١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤م
١٣	منذنة جامع الأندلس بفاس	٣٥٤	٩٦٥م	مريم الفهرية	الحجر						المغرب	١	شبيهة بمنذنة القرويين ولكن تقل عنها بهاء			
١٤	منذنة جامع صفاقس الكبير بتونس		ق١٠م ق١١م	الفاطميين (بني الزيري)		٣	٣١,٤				تونس	١		تزينها الأطاريف والشرفات والكتابة الكوفية التي تشاهد في أعلاها	أعيد بناء المسجد عام ٩٨٨م	المئذنة مجددة في عهد بني الزيري
١٥	منذنة مشهد الجيوشي	٤٧٨	١٠٨٥	الآجر		٣	٢٠			سلم	مصر	١	فوق مدخل المشهد الرئيسي	عناصر زخرفية من المقرنصات المبتكرة من صفين لحمل شرفة المؤذن	٤٧٨هـ - ١٠٨٥م العهد الفاطمي (أمير الجيوش)	
١٦	منذنة جامع حلب الكبير	٤٨٣ - ٤٨٧	١٠٩٠ - ١٠٩٤	ابو الحسن محمد بن يحيى الخشاب بصنعة حسن بن مفرح السرماني	الحجر المنحوت	٤	٥٠	٥	٥	سلم	سوريا	١	فوق المدخل الشمالي الغربي	الحجر المنحوت يقسم المئذنة إلى أربع طبقات بأفاريز بارزة وتزين الواجهة عقود مفصصة وتحمل الشرفة مقرنصات وتتوج المئذنة قبة صغيرة.	أنشيء في عهد الوليد ٩٧هـ- ٧١٥م وأكمله سليمان بن عبد الملك	تم تشييدها بداية العهد السلجوقي أيام قسيم الدولة آقسنقر، جد نور الدين وضع حجر أساسها عام ٤٦٨هـ . عدد درجاتها ١٥٤درجة.

م	اسم المئذنة	تاريخ بناءها هجري	تاريخ بناءها ميلادي	العهد الذي بنيت فيه وبانيها	مادة الإنشاء	عدد طبقاتها	الأبعاد (م) ارتفاع	الأبعاد (م) طول	الأبعاد (م) عرض	طريقة الارتقاء	مكان وجودها	عددها	موقع المآذن	الزخارف	زمن إنشاء المسجد	ملاحظـــات
١٧	مئذنة مدرسة كمشتكين ببصرى	٥٣٠	١١٣٦	السلجوقي كمشتكين	الحجارة	١				سلم	سوريا	١	منفصلة عن بنـــاء الجامع بمر سملوي ضيق شمالي المسجد			يدعى بـــجامع الخضر
١٨	مئذنة جامع الكتبية " مراكش "	٥٤٨	١١٥٣	عبد المؤمن بن علي	الحجر الغشيم	٢	٦٧,٥	١٢,٨	١٢,٨	طريـــق صـــاعد منحدر	المغرب	١	الشمالي الشرقي	جدرانها مغطاة بأفاريز متوالية من الزخارف الجميلة – ذات نوافذ بعقود منسقة تتمشى مع السلم الداخلي (منحوت من الحجر) ملونة بالخزف	٥٤١ – ١١٤٧م عبد المؤمن بن علي	أعيد بناؤه أيام يعقوب المنصور ٥٩٢هـ/١١٩٦م تتألف من ستة طوابق تضم غرف صغيرة
١٩	مئذنة جامع تينمال	٥٤٨	١١٥٣	عبد المؤمن بن علي							المغرب	١	مبنية فوق الخراب	جدران المئذنة مزينة بالزخارف المشتقة من الخطوط والزوايا والدوائر		
٢٠	صومعة مسجد إشبيليه "الجيرالدا"	٥٩١ – ٥٩٢	١١٩٥	ابو يوسف يعقوب المنصور الموحدي	الآجر	٢	٩٦ ٧٣	١٣.٥	١٣,٥	طريق صاعد "منحدر"	الأندلس	١		هيئة زخرفية جميلة تكسر فراغ الجدران. نقوش مغربية وعربية بديعة. عقود مفصصة وخطوط متشابكة.	٥٧٢ هـ – ١١٧٦م أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	أتمّه ابنه المنصور ٥٩١– ١١٩٥
٢١	مئذنة جامع حسان بالرباط	٥٩٢	١١٩٥	ابو يوسف يعقوب المنصور الموحدي	الحجر (المنحوت)	١	٤٤	١٦	١٦	طريق صاعد "منحدر"	المغرب	١	الجدار الشمالي	واجهات المئذنة مزينة بالعقود المفصصة والأشكال المتشابكة	٥٩٢ هـ – ١١٩٥م الأمير يعقوب المنصور	المرقاة تدور حول قسم مركزي مؤلف من ستة غرف فوق بعضها
٢٢	مئذنة جامع القصبة مراكش	٥٩١	١١٩٦							سلم	المغرب	١				
٢٣	مئذنة جامع قتيبة	ق٦	ق١٢								المغرب	١		يغطي قمتها إفريز من البلاط الزخرفي		
٢٤	مئذنة مدرسة ابي الفداء بصرى	٦٢٢	١٢٢٥		الحجارة	١				سلم	سوريا	١	الجدار الشمالي للمدرسة			يتم الدخول إليها عن طريق السطح بواسطة درج خارجي في الجدار الشمالي للمدرسة
٢٥	مئذنة مسجد القصبة بتونس	٦٣٣	١٢٣٥	ابي زكريا	الحجر	٢					تونس	١		شبكة معينات مكونة من تداخل الأقواس تنطلق من أسفل المئذنة حيث توجد مجموعة القناطر المسطحة ذات التيجان الرقيقة.	١٢٣٣م مؤسس الحفصيون	
٢٦	مئذنة مسجد تلمسان		١٢٣٦								الجزائر	١			٥٣٠ هـ – ١١٣٥ علي بن يوسف بن تاشفين	جرت عليه توسعات أواخر عهد الدولة الزيانية أواخر القرن الثالث عشر ميلادي
٢٧	مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين	٦٤١	١٢٤٣		الآجر	٢				سلم	مصر		فوق البوابة الرئيسية	محاريب مسطحة على الجذع عقدها على شكل الزاوية تشبه محاريب الواجهة الرئيسية		
٢٨	مئذنة جامع قلاورون بالقاهرة	٦٩٥	١٢٩٥	السلطان قلاورون	الحجر		٣٤			سلم	مصر	١	فوق البوابة الرئيسية	جدران مزينة بنوافذ كبيرة على عقود مدببة تزينها النقوش الجصية	السلطان محمد بن قلاورون	أول مئذنة من الحجر في مصر وقبل ذلك بنيت المآذن من الطوب
٢٩	مئذنة مسجد فاطمة بصرى	٧٠٥	١٣٠٠		الحجارة	١				سلم	سوريا	١			٧٠٥ هـ–الملك الناصر محمد بن قلاورون	
٣٠	مئذنة جامع المنصورة بتلمسان	٧٣٧	١٣٣٦	الملك الناصر محمد بن قلاورون	الحجر المشذب	٣	٣٨			طريق صاعدة "منحدر"	الجزائر		منتصف الواجهة	مناطق متناسقة من الزخارف المكونة من العقود والمحاريب المسطحة يعلوها إفريز ينكون من صف من القناطر الصغيرة	٧٠٣– ٧٣٧هـ المرينيون ١٣٣٦م	ينفتح الباب الرئيس تحت هذه المئذنة بشكل موفق مشكلاً أساس زخرفتها الوافرة الخلاة بالقاشاني.
٣١	مئذنة سيدي الحلوي بتلمسان	٧٥٤	١٣٥٣	المرينيون		٢					الجزائر	١			المرينين	
٣٢	مئذنة خانقاه بيبرس الجاشنيكر	٧٠٦ – ٧٠٩	١٣٠٦ – ١٣١٠		الآجر	٣				سلم	مصر	١	تعلو المدخل	حطات من المقرنصات تحمل شرفة خشبية– أضلاع البدن الثاني شغلت بمحايا متوجة بمقرنصات. والمئذنة مكسوة بالقاشاني الأخضر الملون		
٣٣	مئذنة جامع التوريزي دمشق	٨٣٤	١٤٣١	الأمير عزالدين خليل التوريزي		١				سلم	سوريا	١		تزين المئذنة زخارف كثيرة وعليها كتابة تاريخية وهي من أجل مآذن دمشق	أنشئ الجامع عام ١٤٢٢م	خلافاً للمآذن المملوكية أنشئت على شكل مربع

م	اسم المئذنة	تاريخ بناءها		العهد الذي بنيت فيه وبانيها	مادة الإنشاء	عدد طبقاتها	الأبعاد (م)			طريقة الارتقاء	مكان وجودها	عددها	موقع المآذن	الزخارف	زمن إنشاء المسجد	ملاحظـــات
		هجري	ميلادي				ارتفاع	طول	عرض							
٣٤	مئذنة قايت باي قرا الرماح	٩٠٨	١٥٠٣							سلم	مصر	١	يسار المدخل		٩٠٨هـ – ١٥٠٣م	
٣٥	مئذنة السلطان الغوري القاهرة	٩٠٩	١٥٠٤	السلطان الغوري						سلم	مصر	٢			السلطان الغوري	نموذج للمآذن المربعة ذات الرأسين في العهد المملوكي
٣٦	مئذنة مدرسة الغوري القاهرة	٩٠٩–٩١٠	١٥٠٥			٣				سلم	مصر	١	بالطرف الجنوبي من واجهة إيوان القبلة	حطات المقرنصات تحمل الشرفات	٩٠٩ – ١٥٠٤م	
٣٧	مئذنة مسجد الخواتين "الجزائر"	١٠٧٠	١٦٦٠	الحاج حبيب							الجزائر	١				المسجد طراز تركي والمئذنة طراز مغربي أصيل
٣٨	مئذنة جامع محمد بك ابو الذهب – القاهرة	١١٨٨	١٧٧٤			٢					مصر	١	بالطرف الغربي من كتلة البناء		١١٨٨–١٧٧٤	
٣٩	مئذنة جامع الزيتونة	١٣١٢	١٨٩٤	المعمارين الطاهر بن صابر وسليمان البيقرد		٢				سلم	تونس	١		غنية بالزخارف	حسان بن النعمان الغساني ٨٠هـ–٦٩٩م	وقع ترميم للصومعة سنة ١٠٧٦هـ – ١٦٥٣م على يد ادباي
٤٠	مئذنة الجامع الكبير بحماه					١					سوريا	١			١٧هـ – ٦٣٨م	زمن بناء المئذنة جاء بعد بناء المسجد
٤١	مئذنة الجامع النوري بحماه					١					سوريا	١		تتناوب في بناءها مداميك الحجارة السوداء والبيضاء محدثة أشكالا هندسية	٥٥٧هـ – ١١٢٩م	أغلب الظن أن زمن بناءها في العهد المملوكي
٤٢	مئذنة مسجد الحسن الثاني الدار البيضاء	١٤١٦	١٩٩٣	الملك الحسن الثاني، المعماري الفرنسي ميشيل بانسو	بيتون مسلح	٢	٢٠٠	٢٥	٢٥	مصاعد وادراج	المغرب	١	محور الواجهة الجنوبية	تمازج بين الفن المغربي والأندلسي استخدمت المزينات والتشكيل التجريدي. الزليج الأخضر يغطي مساحات واسعة من المئذنة	١٤١٦–١٩٩٣ الملك الحسن الثاني	تعتبرمن أعلى المآذن في العالم الإسلامي وتضم بين جدرانها العديد من القراغات التي تؤدي وظائف متعددة

تأثر المئذنة المربعة

كان للوضع السياسي والاقتصادي تأثيرهم على إنشاء المساجد بشكل عام والمآذن بشكل خاص، ففي العصر العثماني قل إنشاء المآذن المربعة بسبب غلبة الطراز العثماني.[١] كان تأثير المعمار التركي واضحا في تونس والجزائر لما تركوه من مآذن عثمانية الطراز، ومع ذلك استمر النموذج المربع المطابق للتقليد الأندلسي المغربي، ولكن مع دخول الأبراج المضلعة والدائرية أيضا.

وبحسب موقع المئذنة تناولتها الزخارف أو الكتابات أو المداميك الملونة لتضفي عليها لمسة جمال وهوية إقليمية أو بلدية.[١٣] كان تأثير الطراز الأندلسي على المآذن المربعة واضحا في منطقة المغرب العربي حتى وجد ما يسمى بالطراز الإسباني المغربي وخاصة بعد أن أصبح المغرب وما بقي من الأندلس بلدا واحدا سياسيا وحضاريا. وأهم أمثلة هذا الطراز مسجد الكتبية ومسجد حسان ومسجد أشبيلية.

دفع التفكير بالارتفاعات العالية لشرفة المؤذن المعماري المسلم للتفكير بإيصال المؤذن إلى الشرفة مستخدما الخيل، وهنا فكر بالمنحدرات المائلة والتي ظهرت أول الأمر في مئذنة الكتيبة.[١١، ص١١] وكان لابد، لبناء هذه المنحدارت، من بناء جدران مضاعفة (بدنين داخلي وخارجي)، تحمل المنحدرات فيما بينها وتستمر الداخلية غالبا لتشكل البدن العلوي للمئذنة.

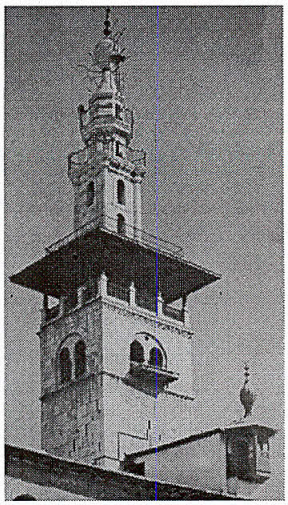

شكل ١: مئذنة العروس في المسجد الأموي بدمشق.

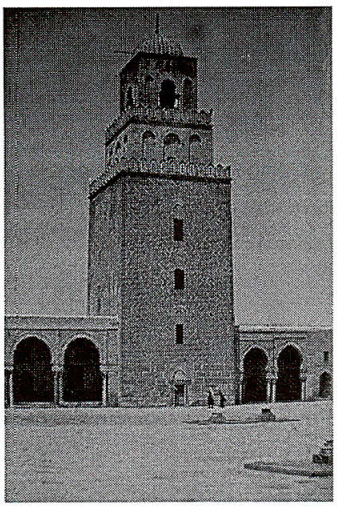

شكل ٢: مئذنة مسجد بن نافع بالقيروان بتونس.

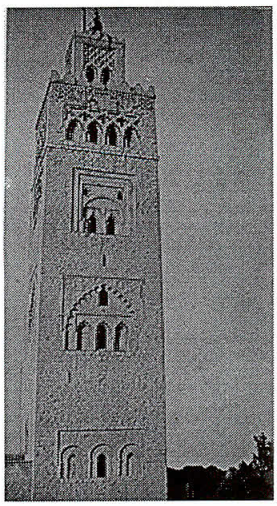

شكل ٣: مئذنة مسجد الكتبية بمراكش.

تأثيرات المئذنة المربعة

أضافت المئذنة للمسجد جمالا ورونقا يتجليان للناظر من بعيد. ومهما كان طرازها فقد عرف المعماريون المسلمون كيف يصنعوا منها أشكالا فنية هي الغاية في الجمال. فوجودها جعل المعماري المسلم يوجه جهده في الابتكار والزينة للمئذنة، أي لعناصر الشكل، فاقتصر الابتكار على العناصر الثانوية من مآذن وقباب وعقود وبوابات ونوافير ماء ومقصورات وشرافات. (شكل ٤،٥)

لقد سمح مسقط المئذنة المربعة بإقامة أدوار متعددة، ينتهي كل دور ببسطة تدور مع البناء وتفتح فيها النوافذ. دفعت هذه البسطات والأدوار المعماري إلى التفكير باستخدامها كغرف وصالات وفيما بعد كمبان كاملة تأخذ شكل المئذنة وتضم داخلها وظائف متعددة.

أعطت المئذنة المربعة بخطوطها المستقيمة مع القبة وهما عنصران معماريان مختلفان في الهيئة تمازجا جميلا وتوازنا بين الخطوط وشكلا وحدة جمالية يرتاح إليها النظر. كما أخذت المئذنة والقبة دورا هاما في تتويج وإتمام سقف المسجد الذي بدت مساحات طويلة من سقفه كأنها مقطوعة نتيجة لتطاول جدرانه واتساع مساحته.[١]

كان لطراز مئذنة مسجد أشبيلية "الجيرالدا " وجماله أثرا واضحا في تطور العمارة الدينية في أسبانيا، فنرى في الكثير من مدن الأندلس الكثير من الأبراج التي أقيمت على طراز مئذنة مسجد أشبيلية وزخارفها وتقاسيمها الأندلسية. كما نرى أبنية أنشئت لوظائف أخرى أخذت عنها الكثير (شكل ٦). [١٢، ص٤٢-٤٤]

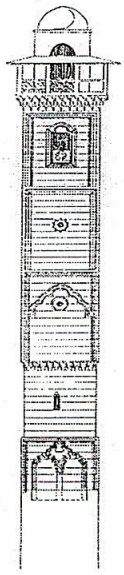

شكل ٤: مئذنة الجامع الكبير بمعرة النعمان في سورية بنيت عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م.

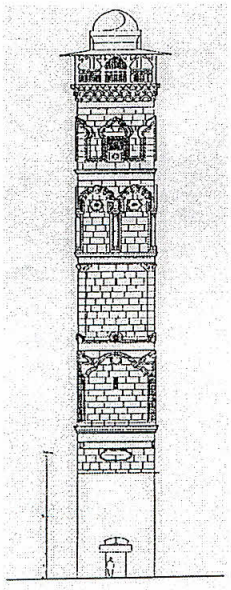

شكل ٥: مئذنة الجامع الأموي بحلب شيدت عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

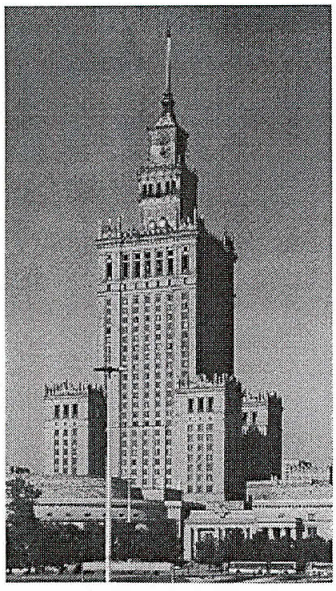

مبنى قصر الثقافة و العلم في وارسو

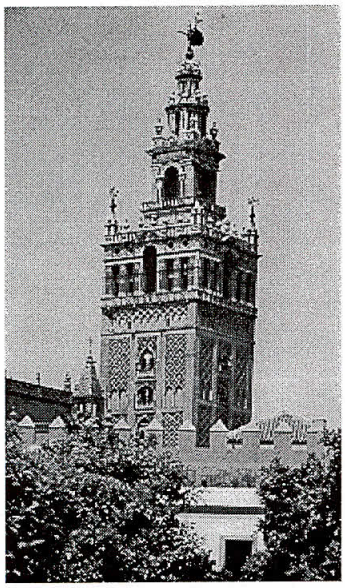

مئذنة مسجد إشبيلية "الجير الدا"

شكل ٦: و يبدو التأثير واضحأفي عمارة قصر الثقافة و العلم والمشيد بعد الحرب العالمية الثانية.

النتائـــــــــج

تميزت المئذنة المربعة بكونها القاسم المشترك بين العديد مـــن الطـــرز المعماريـــة، فمـــن الطـــراز الشـــامي إلى المغـــربي إلى الأندلسي إلى المهجن، كما نجدها بمسجد من الطراز العثماني متآلفة مع التشـــكيل الكـــامل للمســـجد كمـــا في مســـجد محمد بك أبو الذهب في مصر ومسجد الحواتين في الجزائـــر ونجدهـــا في مســـجد قـــلاوون بالقـــاهرة ضمـــن الطـــراز المملوكي. (شـــكل ٨،٧)

إن المعماري المسلم باحث دائم عن التجديد وابتكار أنماط معمارية جديدة، فعندمـــا بـــنى ملويـــة ســـامراء ذات المســـقط الحلزوني استمد فكرتها من الزيقورات الرافدية ومن بـــرج بـــابل ذات المســـاقط المربعـــة فجـــاءت الملويـــة جديـــدة في حلتها. وفي المحيط الذي تواجدت فيه الأبراج الدائرية بنى المئذنة المربعـــة لتنويـــع العنـــاصر والابتكـــار والتـــأكيد علـــى عنصر المئذنة الدال دلالة قطعية على المسجد، كما في قصر الحير في مدينـــة الرافقـــة (الرقـــة).

وإذا أراد المعماري المسلم أن يعطي للمئذنة المربعة وجودها المحبب، فإن ذلـــك يتحقـــق بجعلـــها وحيـــدة دون تكـــرار أو مضاعفة مما يعطيها قوة، ويسمح بالعناية بها وبزخرفتها وإضفاء لمسات الجمـــال عليـــها. وكـــان وجـــود هـــذه المئذنـــة يكفي لأداء الوظيفة المطلوبة منها، وعندما وجدت هذه المئذنة فوق بـــرج ربـــاط سوســـة وأنشـــئ المســـجد بعدهـــا لم يفكر المعماري بإنشاء مئذنة جديدة فالمهم أداء الوظيفة وبنفس الوقـــت اســـتخدمت هـــذه المئذنـــة للمراقبـــة الدفاعيـــة. فالمساجد الصغيرة يمكن أن تكفيها مئذنة واحدة أما المســـاجد الكبـــيرة ذات المســـاحات الواســـعة فيمكـــن أن تتعـــدد فيها المآذن دون غلو، ودون أن تؤثر قيمتها على المضامين الإسلامية لوظـــائف واســـتخدامات وخدمـــات المســـجد.

ولعل الانتشار الواسع للمئذنة الأولى (المربعة) يعود سببه إلى تلـــك النهضـــة العمرانيـــة الشـــاملة الـــتي شـــهدها عصـــر النهضة في بناء المساجد الجامعة الكبرى في الإسلام (المسجد النبوي، مســـجد عقبـــة في القـــيروان، المســـجد الأقصـــى، مسجد واسط، المسجد الأموي بدمشق، مسجد بصرى الشام) والمنارات التي بنيـــت في هـــذا العصـــر مـــا تـــزال مـــن اجمل المنارات في المدن والأقطار التي وجدت فيها[١٤]، ورغم انتشار النموذج المربع فلـــم يكـــن وحـــده الـــذي بـــني في الشام بل عرفت هذه البلاد أشكالا أخرى كمئذنة مسكنة (مدينـــة بـــالس القديمـــة) الـــتي تعتـــبر أول مئذنـــة تبـــنى في الشام على غير النموذج المربع متأثرة بما جاء مـــن الشـــرق.

إن المسقط المربع يمكن تحويره أو إقامته بشكل مجرد ليعطي تكوينا جميلا، كما أن اســـتخدام المســـقط المربـــع بـــدأ مـــع أول مئذنة واستمر حتى تاريخه رغم تنوع التأثيرات الأخرى عليه، فالمئذنـــة الملويـــة تكـــررت مرتـــين فقـــط علـــى مـــر العصور بينما نجد المسقط المربع مازال مفضلا لدى الكثيرين من معمـــاري عصرنـــا هـــذا إذ اســـتطاعوا أن يبدعـــوا بمـــا قدموه من جديد في عالم المآذن المربعـــة. (شـــكل ١٠،٩)

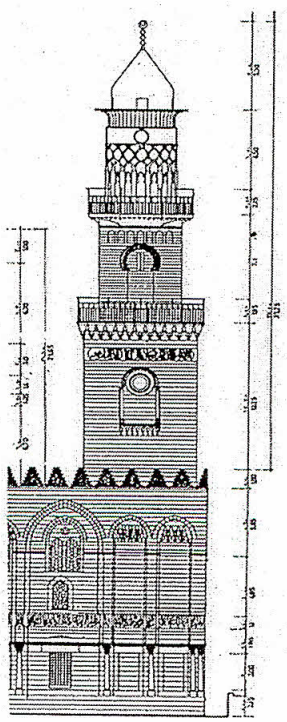

شكل ٧: مئذنة مجمع السلطان قلاوون بالقاهرة.

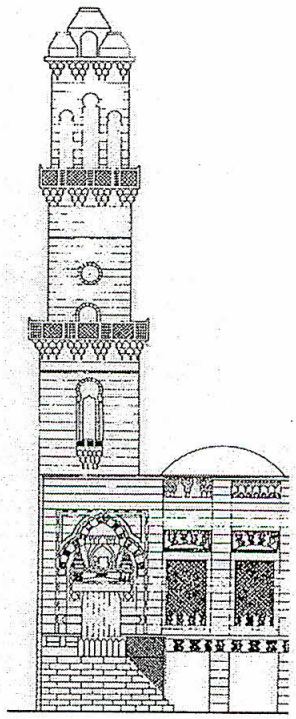

شكل ٨: مئذنة مسجد محمد بك أبو الدهب بالقاهرة.

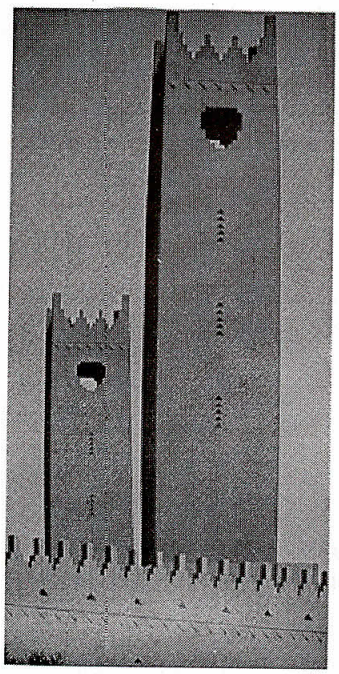

شكل ٩: مئذنة المسجد الجامع للحي الدبلوماسي بالرياض.

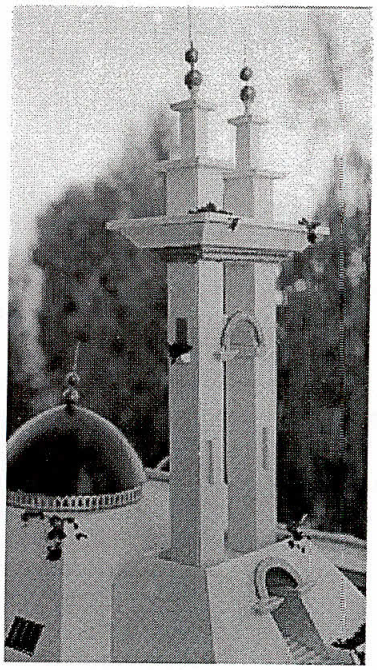

شكل ١٠: تصميم حديث لمسجد باللاذقية، سورية.

المراجع

[١] مؤنس، حسين. "المساجد". عالم المعرفة، ع٣٧، (١٩٨١).

[٢] تحقيق عن مساجد دمشق. "صور من عبير الماضي". الراصد، ع١٣، (١٩٩١)، ٢٧ – ٣٢.

[٣] مرزوق، محمد عبدالعزيز . مساجد القاهرة قبل عصر المماليك. مصر : دار عطايا، ١٩٤٢.

[٤] الشهابي، قتيبة. مآذن دمشق. دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٤.

[٥] الريحاوي، عبدالقادر. جامع دمشق الأموي التاريخ والتراث والفن المعماري. دمشق: الداودي عربين، ١٩٩٦.

[٦] مكداش، غازي. وحدة الفنون الإسلامية. بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٥.

[٧] الخضر، عبدالمعطي. تاريخ العمارة. حلب: جامعة حلب، ١٩٩٠.

[٨] عمر، عبدالرحمن فهمي. "الفنون والآثار الإسلامية في القاهرة "العمران، ع٤٧ – ٤٨، (١٩٧٣)، ٩٨ – ١٠٠.

[٩] الريحاوي، عبدالقادر. العمارة الحضارة الإسلامية. جدة : مركز النشر العلمي، ١٩٩٠

[١٠] بهنسي، عفيف. الفن الإسلامي. دمشق : دار طلاس، ١٩٨٦.

[١١] Sevella en color Jose Maria de Meno, Madrid, editorial everest, 1979.

[١٢] عفان، محمد عبدالله . الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال.

[١٣] قنباز، وليد. " حماه مدينة النواعير". الفيصل، ع٢٦، (١٩٧٩)، ٤١ – ٤٣.

[١٤] جحا، محمد فريد. "المسجد الأموي أو الجامع الكبير". المدينة العربية، ع٥٨، (١٩٩٤)، ٤٠.

Identity and Influence of Square Minarets

Fouad Fayad Khadrah

College of Architectural Engineering, University of Tishreen
Latakia, Syria

Abstract: Prophet Muhammad, may the blessing of God be upon him, has assured the necessity for calling to prayer. He requested his companion Bilal to ascent the roof of his mosque to call "*Allah Akbar... .Allah Akbar*" (God is the greatest... God is the greatest...).

Since then, a high place (Minaret or house roof) has been required to call to prayer, which become a fundamental and perceptible element in the following ages and helped in establishing the minaret and emphasizing its function. A great architectural heritage of ancient civilizations helped in the development of this element.

Some of these towers were of square section and little height. Moslems continued to build these square shaped minarets during the Umayad period. This style was transferred to North Africa and Andalusia (Spain and Portugal). Its development has been affected by the civilizations of those lands, until it returned to North Africa with a more refined new style. The square shape was dominant in minarets until the end of the twelve-century A.D. when the ribbed and round minarets appeared.

Square minarets were unique in their characteristics. They have been affected by other contemporary styles, and in return, have effected other the styles. Their development continued with time, modifying their shape and differing from those of towers and castles, until their unique form was achieved. This paper investigates the development of square minarets and their influence in different parts of the world.